

ثمالة الغوص / قصص برسم الإجتماع للقاص : صلاح بن هندي

قصة هجر (الحاضرة) الواقعة في واحة الأحساء (شرق الجزيرة او ما عرف ببلاد البحرين و تحول الإسم في نهاية القرن الثالث الهجري الى الأحساء) . و السيف أو الساحل هو الخط بندر العجير حينها نتذكر

الشاعر الجاهلي امرئ القيس

صاحب نخيل قريبة من صفا المشقر حين حديثه عن ابن يامن يقول:

أو المكرعات من نخيل بن يامن

دُوَيْنَ الصِّفا اللَّائِي يَلِينُ المَشْقَرَا

وكذلك عند عرفطة الأسدي حيث يقول:

أو المكرعاتُ من نخيل ابن يامنِ

دُوَيْنَ الصِّفا اللَّائِي.. يحفُّ المَشْقَرَا

والمكرعات هي النخيل على حافة الماء ،

وعند الشاعر الأحسائي الجاهلي عند طرفة بن العبد ان ابن يامن ليس فقط صاحب نخيل وإنما هو رجل بحري وصاحب سفن فهو يصف ناقته وكأنها من سفن ابن يامن:

عَدُولِيَّةٌ ، أو من سفين ابن يامن

يَجُورُ بِهَا المَلَّاحُ طَوْرًا وَيَهْتَدِي

طلّات هذه العلاقة التاريخية لمجتمعات الأحساء بين الزراعة و البحر ، و التي تشكلت كحالة تكاملية بين الإنتاج و السفر و النجارة ، و امتهن في ذلك السكان بإخلاف طبقي .

وكان من موارد العمل الغوص عن اللؤلؤ و من المعلوم أن بندر لعجير (ميناء العقير) أحد المنطلقات و ان كان الحساوية ركبوا البحر من موانئ الخليج الأخرى ايضا

يشكل العمل في البحر بحثا عن اللؤلؤ اخذ روافد اقتصادية خاصة للمدن المطلّة على البحر، و لكن النظام الإجتماعي يقسم المجتمع الى قلاّة يملكون السفن (النواخذة ، و تجار اللؤلؤ) و يديرون الفعل ويستحوذون على الموارد ببيع اللؤلؤ ، و كثرة وهم المعدمين او المهمّشين الذين يعملون بجد في الغوص وكل ما من شأنه مرتبط به ، و كانت حالة الفقر هي السائدة دون عناية بحقوق المشتغلين ، بل يمنّ عليهم أن تم تشغيلهم .

عنوان المجموعة جاء مبهرًا دليلاً عن انقضاء الفعل باستخدام مصطلح ثمالة ، و هو متبقي الأشياء ، و تقدمته للغوص بهذا المعنى و هي حقة لها أثرها في موروث الأحسا ئيين

أحسن القاص صلاح بن هندي استجلاب حدث الغوص وهو ابن المبرز في الأحساء ، ذلك أنَّهُ توفَّق العمل بعد دخول اليابان و انتاج ما يعرف اللؤلؤ الصناعي .

استطاع بن هندي تجزئة الحكايات و المواقف على شكل قصص و أعطى لكل منها عنواناً .
برغم بيان الحالة الإجتماعية و الماديّة لأبطال القصص و علاقتهم بالسيّد (النوخدة) جعل من البحر الوسيط في تلك العلاقة بل لم يخلو الوصف من رومانسية مقابل العناء .

في بيانه هذا ابتعد بن هندي عن طرح رأيه أو يُشخص المفهوم في مثلاً موضوع الفقر و الظلم و الفسوة و صعوبة العمل و الإقطاع ، و الإستسلام للواقع ، إلا أنَّهُ استطاع أن يجعل من السردية قوام لتحليل القارئ و الإستنتاج.

وكوني دائماً أميل لواقعية ذكر الأماكن (يعتبر من قوام القصّة) لا أن تظل الأحداث مموهة ، خاصة أن معظم القصص مرتبطة بأفراد و حكايته دون تعدد الجغرافيات فوجدنا عموم الإسم الخليج و ذكر مرة البحرين و المبرز.

و قصص بن هندي هي من السهل الممتنع و، عند القراءة تجد نفسك كأن الكاتب يسولف لك . يُظهر التعابير و المصطلحات و ما أكل عليها الزّمن من مصطلحات مرتبطة بمهنة الغوص كأسماء السفن وخصائصها ، و أسماء المهن و الإشتغال و حوارات سردية في الثقافة غير المادية في أساليب التّعاطي الشخصي في الحديث .

تمتّع نهايات القصة بالتشويق و عنصر الدّهشة و ينهيها بشكل واضح لتشكيل النتيجة بعد حبكة القصة ، في قصة مركب بلا علم " لأن زوجها قد تزوّج عليها فتاة أحبّها من (النيبار) و قد اتفق مع النوخدة على هذه الخدعة "

، وفي قصّة غُصّة مظلوم " حاول أن يقنعهم أنَّهُ لم يفعلها لكن دون جدوى . هاهو في السجن ينتظر موعد تنفيذ حكم الإعدام "

وفي قصة حياة تحت الأمواج " و بالفعل لم أجد أحنى عليّ من هذه اللخمة السوداء و ذاك (اليربور اللطيف) .

تشكّل قصص بن هندي مرجعاً في حركية المجتمع في حينه ، و تشابكه ، و قيمه . ومع ذلك واقعيّة القصص ابتعدت عن جعل الغواصين أسطورة . و نجاحه في تقريب الصورة بإسلوب متعة القصّة و معرفياً .

